بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

قال الله تعالى جلَّ وعلا: ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

﴿قَالَ﴾ الله تعالى جلَّ جلاله متفرِّداً بعظمته وكبريائه: ﴿عَذَابِيٓ﴾ ونكالي ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُ﴾ أي أصيب به من أشاء من عصاة عبادي ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ من المطيعين والعاصين وغيرهم، من المطيعين الذين يطيعون أوامر الله جلَّ وعلا، ويتَّبعون الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستفيدون من الدنيا من إنعام الله جلَّ وعلا، وفي الآخرة برحمة الله تعالى ينجون من عذابه جلَّ وعلا.

وأما العصاة في الدنيا فإنهم يتنعَّمون بنعمة الله جلَّ وعلا، وهم على قسمين:

قسم منهم لم يؤمنوا بالله جلَّ وعلا، وتنكَّروا وجودَهم، ووجودُهم لا يكون إلا بالله تعالى جلَّ وعلا، حتى كبروا وانحرفوا عن الاستقامة.

والقسم الثاني مؤمنون، ولكنهم مع إيمانهم ينحرفون ويخالفون، فإن رزقهم الله تعالى التوبة فإنهم يستفيدون من رحمته جلَّ وعلا، والله تعالى يعفو عنهم.

﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ أي تلك الرحمة، وأُثبتها حتماً وبدون شك ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ عن المحارم من النواهي الخارجة عن الشريعة والسنة النبوية مطلقاً، طلباً لمرضاته جلَّ وعلا. وإذا حصل منهم المخالف فإنهم يتوبون عن قريب، والله يتوب عليهم، أي يقبل توبتهم. ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ تطهيراً لنفوسهم عن البخل والشحِّ المطاع الموجبِ لقسوةِ القلب والغفلةِ عن الربِّ جلَّ جلاله. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعني بجميعها ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ أي يوقنون ويمتثلون بمقتضاها، فهم يعملون بمقتضى الآية وبمقتضى السنة؛ وهؤلاء لا شكَّ لنا في إيمانهم، ولكن مِنَ المؤمنين مَنْ يجعلون اتباعَ آياتِ الله جلَّ وعلا واتباعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجة الثانية، لا شكَّ لنا في إيمانهم، ولكن لاشتغالهم بحبِّ الدنيا والغفلةِ يجعلون عملَهم بالأمر الإلهيِّ القطعيِّ، والسنةِ النبويَّةِ المطلقةِ، في الدرجة الثانية.

ولو أنكم أنتم أيها المؤمنون تتتبَّعون آثارهم وآثاركم، ترون أكثر الناس ـ لا الكل ـ جعلوا العمل بالأوامر الإلَهية التي في الكتاب والسنة في الدرجة الثانية، وهذا كما أسلفنا لاشتغالهم بحبِّ الدنيا والغفلة.

أما خواصُّ المؤمنين وخلَّصُهم فليسوا هكذا، لأنهم يقدِّمون أمرَ الله جلَّ وعلا واتباعَ الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى إنهم يرجِّحون هذا الاتِّباعَ على أرواحهم. ولذا قال الله تعالى جلَّ وعلا: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ صلى الله عليه وسلم، المرسلَ من عند الله تعالى جلَّ وعلا ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾ المتمِّمَ لمكارم الأخلاق ﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾ المتحقِّقَ المخصوصَ بالعلوم اللدنيَّة الملقاة له من ربِّه جلَّ وعلا؛ فهم يتَّبعون هذا النور الإلهي الذي جاء أولاً بلا واسطةِ كسبٍ وتعليمٍ من معلِّم. ووصفُ النبيِّ الكريمِ صلى الله عليه وسلم بالأميِّ ليس نقصاً، بل مدحٌ لظهور المعجزة فيه، وهذا يدلُّ على علمه اللدني بلا كسبٍ ولا تعليم، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكتب ولم يقرأ وبلَّغهم هذا القرآن من عند الله جلَّ وعلا. هذا الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، النائب عن الله جلَّ وعلا، وبواسطة القرآن الكريم ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي يحرِّمونها على نفوسهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ وذلك

برفع التكاليف الشاقَّة عنهم؛ مثلاً: كانوا في غير هذه الأمة المحمَّدية عليه الصلاة والسلام، إذا تنجَّس ثوب أحدهم فإنه يُقطع موضع النجاسة من الثوب؛ وكقتلِ الأنفس في التوبة؛ وقطعِ أيِّ عضو صدر به الخطأ، وغير ذلك. هذه الأحكام والتكاليف الشاقَّة رُفعت عن أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ومكانَها جاء اليُسر والتوبة. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي صدَّقوه ووقَّروه وعظَّموه حقَّ توقيره وتعظيمه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ تقويةً لدينه ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ﴾ أي القرآن ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ من عند الله تعالى تأييداً له عليه الصلاة والسلام وتصديقاً ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي أولئك السعداء المقبولون عند الله، الموفَّقون من عنده جلَّ وعلا باتِّباعه صلى الله عليه وسلم ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ «معلوم هذا كلُّه بالاتباع»، فلا بدَّ لهم أن لا يجعلوا همَّهم في الدنيا منحصراً على الحياة الدنيا، وينسون أو يغفلون عما وعدهم الله تعالى جلَّ وعلا.

الذين يتَّبعون الرسول عليه الصلاة والسلام، عليهم أن لا يضيِّعوا اتِّباعهم، وأن لا يجعلوه في الدرجة الثانية. اللهم اجعلنا منهم بفضلك يا أكرم الأكرمين.

قال الله تعالى لرسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ المجبولون على الغفلة، الناسون عهدَ الله وميثاقه، المحتاجون إلى المرشد الهادي يهديكم إلى طريق الرشاد ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أرسلني ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ لأهديكم إلى توحيده الذاتي «نحن داخلون في هذا النداء». واعلموا أيها المجبولون على فطرة التوحيد أنه سبحانه هو العليم القدير ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وما فيها إيجاداً وتصرُّفاً بالاستقلال والاختيار ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ وما عليها كذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي لا ربَّ ولا متصرِّف في الشهود ولا مالك في الوجود سواه، فهو الإله القادر على الإحياء والإماتة. ومتى عرفتم أنَّ الملك كلَّه لله، والتصرُّفَ بيده ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ المتوحِّد المتفرِّد بالألوهيَّة ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي يوقن ويُذعن بتوحيد الله تعالى، ويصدِّق بجميع كلماته المفصَّلة المنزَلة من عنده سبحانه وتعالى من الوحي الإلهي ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ أيها الطالبون لطريق

الحق، القاصدون نحو توحيده ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بمتابعته عليه الصلاة والسلام ما تقصدون إليه من التوحيد الذاتي جلَّ وعلا.

قال الله تعالى جلَّ وعلا: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: آية ٤١].

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا أكمل الرسل عليه الصلاة والسلام ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي القرآنِ المتلوِّ عليك المنزلِ إليك؛ اذكر جدَّك ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السلام، أي محامدَ أخلاقه ومحاسنَ شِيَمه، لتنتفع بها أنت ومن معك من المؤمنين، وتمتثل بأخلاقه أنت وَهُمْ. يعني هذا أمر الله جلَّ وعلا.

علينا أن نتَّبعَ الشريعة، فباتِّباع الشريعة يحصل لنا رضى الله جلَّ وعلا، ونتَّبعَ الرسول عليه الصلاة والسلام حتى تحصل لنا محبة الله جلَّ جلاله.

لا تنظروا ولا تتفكَّروا فيمن توغَّل في حبِّ الدّنيا حتى لا نكون من الخاسرين، نرجو الله تعالى جلَّ وعلا أن لا يجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمنا، ونسأله جلَّ وعلا أن نكون من الذين تحقَّق عندهم الموت والحشر والحساب، ونسألك يا ربَّنا أن لا تجعلنا من الغافلين.

خصوصاً أهل الطريق، لو يتفكَّرون فيما أنعم الله عليهم من الوجود والعقل والإيمان والاستقامة، كلُّه من الله، لا توجد نعمة خارج علم الله، لا، أي وأنتم تحبون الأولاد... ولو تتفكرون بأنهم من الله جلَّ وعلا، والأزواج كذلك من الله تعالى، والتلذُّذ بالحلال في داخل الشريعة من المأكولات والمشمومات والمشروبات كلُّه منه جلَّ وعلا، يعني لا يوجد شيء يتلذَّذ به الإنسان في وجوده كالشهوات، أو خارجه كالمحسوسات، إلا وهو منه جلَّ وعلا، ما دام كلُّه ـ حتى هذه الأنفس ـ منه جلَّ جلاله، كما قال ربُّنا جلَّ وعلا: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، لا بدَّ أن لا ننسى هذا المنعمَ سبحانه وتعالى، ولا ننسى رسولَه صلى الله عليه وسلم، ورأسُ كلِّ الإنعام نعمةُ الإيمان بالله جلَّ وعلا ورسله واليوم الآخر...

قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ يا أكمل الرسل عليه الصلاة والسلام من عندك، «هذا أمر

الله جلَّ وعلا لرسوله عليه الصلاة والسلام» ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ المعدَّة للجزاء بحيث لا يكون فيها التلافي والتدارك على ما فات سوى الحسرة والندامة الغير المفيدة.

نرجو الله تعالى جلَّ جلاله أن يُلحقنا بعباده الخالصين، ويحشرَنا مع خُلَّص عباده، وإن لم نكن أهلاً، لقصورنا وتقصيرنا، فأنت يا ربَّنا أهلٌ للعفو والرحمة، وأن يجعلنا من الذين يمتثلون المأمور قبل فوات زمان الندامة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

ـ هذا ما أملاه عليَّ العارف بالله المربي، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به. آمين.

يوم السبت : ٢٧ / صفر / ١٤٣٣ هـ

الموافق: ٢١ / كانون الثاني / ٢٠١٢م

** ** **